مجلة زانكۆ للعلوم الإنسانية
ISSN (Print):2218-0222
ISSN (Online): 2412-396X

Vol.28 IssueSpB ,2024
ID No. 1536 (PP 484-495)
https://doi.org/10.21271/zjhs.28.SpB.24

بحث

مراحل تدرج التفسير بالمأثور -دراسة وصفية-

عثمان محمد غريب / قسم الدراسات الأسلامية،كلية العلوم الإسلامية،جامعة صلاح الدين- أربيل،أربيل،أقليم كوردستان،العراق.

ريناس ديندار حسين / قسم الدراسات الأسلامية،كلية العلوم الإسلامية،جامعة صلاح الدين- أربيل،أربيل،أقليم كوردستان،العراق.

ملخص

تُعنى هذه الدراسة بموضوع تاريخية المراحل التي مرّت بها حركة التفسير وتدرجها بدءاً بعصر النبوة - ومروراً بعصرالصحابة والتابعين وعصر أتباع التابعين، حيث تناولت الدراسة سمات هذه العصور وخاصيتها، والتي تسمى بمرحلة السلف الصالح، حيث كانت هناك مميزات عديدة في تلك الحقبة الزمنية المباركة وقد كان التفسير له مسار خاص ومنهج مميّز يتميّز عن باقي المراحل وذلك؛ بسبب قربهم من عصر النبوة وعكوفهم على حسن العبادة، وتحصيل العلم بكتاب الله تعالى، وجالسوا في المجالس التفسيرية، ورووا التفسير عن الابعض جيلاً بعد جيل، ومن بعدهم جاء عصر المفسرين -تصنيفاً وتأليفاً- أصحاب كتب التفسير، وقد بيّنت الدراسة حال التفسير في هذا العصر ومنهج المفسرين فيه، وأوضحت كذلك تداخل المراحل المتعاقبة لتدرج التفسير بالمأثور.

CORSPONDANCE
ريناس ديندار حسين
renas.hussein@su.edu.krd

الاستلام 2023/09/24
القبول 2024/01/18
النشر 2024/08/15

الكلمات المفتاحية:

التفسير،
المأثور،
المراحل،
الرواية،
السلف.

About the Journal
ZANCO Journal of Humanity Sciences (ZJHS) is an international, multi-disciplinary, peer-reviewed, double-blind and open-access journal that enhances research in all fields of basic and applied sciences through the publication of high-quality articles that describe significant and novel works; and advance knowledge in a diversity of scientific fields.
https://zancojournal.su.edu.krd/index.php/JAHS/about

1.المقدمة

التفسير بالمأثور يعد من أحسن أنواع التفسير؛ وذلك لأهميته ومكانة مصادره وموارده، التي هي القرآن الكريم نفسه، وتفسير القرآن بالسنة النبوية الشريفة، فضلاً عن تفسير القرآن بأقوال الصحابة والتابعين، وهذا النوع من التفسير يأتي في المرتبة الأولى بين الأنواع الأخرى عند المفسرين وعلماء أصول التفسير، لقد أوفر له الحظ الأكبر لدى السلف الصالح، وكانوا لا يفسرون كتاب الله تعالى إلاّ به، ويعظمونه أشد التعظيم، حتى وصل الأمر من بعدهم عند بعض العلماء إلى عدم جواز التفسير بالرأي والإجتهاد سواء أكان الرأي محموداً أم مذموماً، وأغلقوا باب النظر وإعمال العقل في القرآن توقيراً وتمجيداً لتفسير السلف.

والأمة الإسلامية لها تفاسير مأثورة غزيرة بحيث لا يكاد الدارس والناظر في الرواية التفسيرية المأثورة إلاّ يجد ضالته فيها سواء في المباحث العقدية أو الأحكام أو غيرهما.

إن المفسر له حرية في انتهاج أي منهج في التفسير وسلوك المسلك الذي يراه أجود وأحكم لبيان مراد الله تعالى في كتابه، فإن المنهج والمسلك أحدثا أنواع التفسير ولا سيما التفسير بالمأثور، ولهما دور بارز في مرحلية التفسير بالمأثور، قديماً وحديثاً، وقد تدرج التفسير موازياً مع التغيرات التي حصلت في هذا العلم على مدار العصور المتعاقبة، وسنركز على هذا التدرج ونبيّنه من خلال هذه الدراسة.

1.1. أهمية الموضوع

تظهر أهمية الموضوع بأنها تعلق بكتاب الله تعالى الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وتفسير القرآن بحد ذاته هو أسمى العلوم وأشرفها، وعلم أصول التفسير الذي هو قاعدة التفسير لصيانة مراد الله والحفاظ عليه من دخول ما لا يُراد به، فإن البحث في المراحل التي تدرج فيها التفسير بالمأثور تاريخياً أصل من أصول التفسير، فإبراز تلك المراحل وتحليلها وبيان خاصية كل منها له غاية في الأهمية خصوصاً في دراسة أكاديمية علمية.

1.2. أسباب الإختيار

تم اختيار الموضوع لأمور عدة وأسباب كثيرة، في مقدمتها: علو مكانة أصول التفسير بين العلوم الشرعية، فإنه خدم مسيرة التفسير خدمة عظيمة، وصان منهاج المفسرين، وحفظهم من الوقوع في الزلات والعثرات والأخطاء في بيان مراد الله تعالى في كتابه.

إعادة بيان تدرج التفسير بالمأثور في دراسة علمية متقنة وذلك بطرقة مغايرة لما سبق بيانه من قبل الباحثين والمختصين، وتصحيح مساره؛ لأن ما كتب في هذا الحقل من قبل، فيه خلط بين المراحل المتداخلة وضياع بعضها، وقد جاءت هذه الدراسة لبيان تلك المراحل وتصحيحها بدقة وإتقان.

خدمة كتاب الله تعالى في جانب تاريخية التغيرات الحاصلة على مسيرة التفسير بالمأثور في عصر السلف وكذلك عند المفسرين القدامى.

1.3. مشكلة الدراسة

تكمن مشكلة هذه الدراسة في الخلط بين المراحل التي مرّت بها حركة تدرج التفسير بالمأثور تاريخياً، وهل هي مراحل متداخلة أو متباينة، وهل بينها مدة طويلة أم هي متعاقبة متتالية زمنياً؟ وهل التفسير كان جزءاً من الحديث النبوي المدوّن في الصحاح والسنن والمسانيد أو كان علماً مستقلاً بذاته منذ أن ظهر في أول وهلته؟ وهل كان التفسير بالمأثور عن الصحابة والتابعين روايات تفسيرية أو نُسَخ؟ أو هو تأليف بحت في التفسير؟

1.4. منهج الدراسة

أما منهج الدراسة، فقد سُلك فيها منهج التقصي والاستقراء للمواد العلمية في بطون كتب علماء أصول التفسير وعلوم القرآن، ووصف وتحليل آراء الأئمة وتوجيه أقوالهم.

1.5. الدراسات السابقة

لا يدعي الباحثان أنهما عالجا موضوعاً لم يدرس من قبل، فإن العلماء قد تطرقوا لهذا الموضوع وبحثوا فيه وقدموا تحريراتهم؛ لكن كل واحد من زاويته الخاصة ووجهة نظره الشخصية، ولم نجد دراسة مستقلة تدرس هذا الموضوع على حدة، فكل ما هو موجود هو تحريرات وآراء ضمن الكتب المختصة في أصول التفسير ومقدمات كتب التفسير قديماً وحديثاً، وبعضهم لم يتصدوا

له إلاّ في سطور معدودة، ومن أجود ما رأينا في ذلك ما قدمه أ.م.د. خالد بن يوسف بن عمر الواصل في كتابه: تفسير السلف تاريخه وأعلامه ومصادره، وكذلك خالد بن عبدالرحمن العك في كتابه: أصول التفسير وقواعده.

2. مرحلة الروايات الشفهية:

وهي رواية التفسير المأثور عن النبيّﷺ، وعن أصحابه، والتابعين، ولم يكن هناك طريقة لتلقي التفسير عن هؤلاء إلاّ بطريق الرواية (الذهبي، ب.س.ط، 35).

وهذه الطريقة كانت سائدة عند العرب قبل الإسلام، وكان المعول عليه في النقل بين الأجيال المتعاقبة، فالحفظ والرواية هي السبيل الوحيد، وكانت دواوينهم محفوظة في صدورهم.

إن النبيﷺ هو المفسِّر الأول للأمة الإسلامية، وهو المرجع الأمثل والأعلى للصحابة في هذا الشأن، وقد مهَّد لهم مسألة الاجتهاد قبل أن يتوفاه الله، وكان يدرّبهم ويختبرهم فيه، وأقرَّهم فيما أصابوا، وصوّب ما أخطأوا فيه (الغامدي، 2022، 119).

وقد علّمهم كيفية التفسير والاجتهاد عملياً كما في قصة ابتعاث معاذ إلى اليمن، وقالﷺ: "كيف تصنع إن عرض لك قضاء؟ قال: أقضي بما في كتاب الله. قال: فإن لم يكن في كتاب الله؟ قال: فبسنة رسول اللهﷺ. قال: فإن لم يكن في سنة رسول اللهﷺ؟ قال: أجتهد رأيي، لا آلو. قال: فضرب رسول اللهﷺ صدري، ثم قال: الحمد لله الذي وفّق رسول رسول الله لِما يُرضي رسول الله" (أبو داود، 2009، 444/5).

ولما لحق النبيّﷺ بالرفيق الأعلى، وانقطع عن الأمة الوحي، لم يتركهمﷺ تائهين، بل ترك لهم كنزين عظمين: الكتاب والسنة (الغامدي، 2022، 120) ، ونهل مَن كان بعده منهما وفسروا القرآن بكلامهﷺ، واستنبطوا من القرآن أحكام ولطائف كثيرة، ونُقلت هذه إلى التابعين، ومنهم إلى أتباعهم، وكلها مشافهة بالرواية ومُحلاً بالأسانيد.

2.1. التفسير ونقله مشافهة عند السلف طلت قبرقي ،كالآتي قعلى سة طوهي معتد ر:

2.1.1. مرجالس التفسير الخاصة:

-لحبقر الصصغلا-انهر مرقميذهم من أء تلامع نجا اللﷺ سولر و ا ة للصاحبة باصّدعة ت سجلديل عإذ هناك مجاك ياناحم، وأ ينّ له م، يهمعة قويبرت ات قعلم وا لما مير معاني، يقد ة عرن ل لموسظا ويجلآن حقرن السوارا يتدمير ، ينعبتاالجليا و ار هذهويظ هم عيلهويشجعها ليدهم ا لمكلة التسيرية ويحزهم ويني هم با لمسائل اليلعة،أذهاذ ويشحذآراءل، 2022، 275): يطلا ،مرهالخبلط (الواصعر باجمنل اما حثشد فيي ضعنمر لال

،1990) ، (ق2005 ،328/2 ،مرسا)الونكي، ي: ركلتعة اللانةأقحٌالس صلى لنا إذع رضي الله بن الخبلط عن ابن زديد قلها: "كان عر آنمرن اليقرؤوقة نوأتبال: يةة، قيُبَيْنع ن أي ابلاس، و ع نلاب مرهمنة ،آنقرا الرؤوق دنٍ قسل إلى تِيْاا ل ، أردبدل مر د و رغ ر 321/2)الة رسو] (مِ ۡلۡ إثِبِأۡسِزع ۡلۡ َأَذَنَتۡ هُ ۡألۡلقِّ ۡأتۡأۡ ل َيِلا قَوَۡإذِ)الآية: ذهاا بهرو قف. لهااللقئلة اذ إذا كر نا ، سوناياس، ويتدعن ـاد207]، قبال ـ ة: يـالآ ،ـرالـة رسو]د)ـابالؤوف ـعر ـالوـلا المرضات لمابلغتء س ينمشري ناس نال 206]، (ومن الآية: كا قنال مـاذـلـ ين. قمؤمير المريا أـئيء لا؟ قلَ :لـايٌّ شيو قبال، قال: وأق ر ما ع ع لان. سرجال تتلاق : جنـ إلى نلك عض من ل ـس ذي شرَمن ير ىثم، وألإلـاب عـزت الله أ ذى التقوب أمُر اهاهنا منَ إذ ربال: أق ،اس ع نلاب لكذ ىأذ ربال: للان؟ قرجالتتلاق تتلشتري ذسي لقتا ، لقوأنا أ :بالإمرث، قذه لهاا الذ زعتة قـل وأى الله ، إذا لم قويا بمر هنتم ذهـا يأيقو المرضا لمابلغتء .(2/489 ،2003 ،ي(السويط "اس ع نلاب ُك يادَر لل ر ع قال .لانرج ال

ـها سريا، ويهثـم يحـدثنا ـ ، رلو السينـعرأ لمعدالـقير لـ: "كانموقسر اللتبع ين، قصا لله ع م د لمجلوبمنسعة كان لد عالو لـ 2000، 81/1).عملة النهار")الطبري،

2022، لـ(الولـصلا امك ر غات مر له يتـرغ نلكغا ، ولـاو بـتناع ميذهلاتب يعتني نلكاس، و ع نـب لمالـد ل عجاا لم ذهبه رُفع ر منشهلعـ من وأط ينـالـتي وصـل إال يات الروال منكثجو نلكو ،قةمرمو قلية عومنح مكاذ ، ﷺنّيال عد و اة بـمللأ لمال هأـد هيق275)،و .التسيرية تكلـا المراجـ ل

يقول أبو جوزاء: "جاورت ابن عباس في داره اثنتي عشرة سنة، ما في القرآن آية إلا وقد سألته عنها" (الزهري، 2001، 223/9)، وقال عطاء بن أبي رباح: "ما رأيت مجلساً قط أكرم من مجلس ابن عباس أكثر فقهاً وأعظم جفنةً منه، إن عنده أصحاب القرآن يسألونه، وعنده أصحاب الشعر يسألونه، وعنده أصحاب النحو يسألونه، كلهم يصدر في وادٍ واسع" (الفسوي، ب.س.ط، 277/1).

ويدل هذا على أن ابن عباس كان يجمعهم في بيته ويجري المجالس في داره، وهذا يعني أنها مجالس خاصة في دائرة محددة، ولأشخاص معيّنين.

ويتجلى من قول عطاء بن ابي رباح أن الذي يحضر مجالس ابن عباس كانوا يسألونه عن القرآن والشعر والنحو، يعني أنهم كانوا على علم بأن الدين هو القرآن، وهو يفسره لهم بالسنة، ومقتضى اللغة، يقدم رأيه واجتهاداته إن لم يكن لديه دليل، وابن عباس مشهور بتفسير القرآن بالشعر الجاهلي.

وهذه المجالس خدمت تفسير القرآن خدمة عظيمة، وجلّ ما روي من آثار السلف كان عبر تلاميذ تلك المجالس، ولا سيما المكثرين منهم ممّن اختص بنقل التفسيرعنهم (الواصل، 2022، 277)، وكان التابعون على منوال شيوخهم من الصحابة لديهم مجالس خاصة بالتفسير، وتخرج جيل مفسر من أتباع التابعين من مجالسهم، وكانوا يتناقلون التفسير شفهياً.

2.1.2. مجالس التفسير العامّة:

كان لديهم مجالس عامة، ويفسرون القرآن لكافة الناس سواء على المنابر أو في أماكن عامّة يجتمعون إليها الناس، خصوصاً في مواسم الحج.

ومثالها عبدالله بن مسعود، فعن قتادة في قوله تعالى: (وَإِن يَسۡتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٖ كَٱلۡمُهۡلِ) [سورة الكهف، الآية: 29]، قال: "ذُكر لنا أن عبدالله بن مسعود أُهدِيت له سقاية ذهب وفضة، فأمر بخدود فخُدّت في الأرض، ثم قذف فيها من جزل الحطب، ثم قذف فيها تلك السقاية، حتى إذا أزبدت وانعامت، قال لغلامه: ادع من بحضرتنا من أهل الكوفة. فدعا رهطاً، فلما دخلوا عليه قال: أترون هذا؟ قالوا: نعم، قال: ما رأينا في الدنيا شبيهاً للمهل أدنى من هذا الذهب وهذه الفضة حين أزبد وانماع" (الطبري، 2000، 13/18).

وكان لابن عباس الحظ الأوفر في هذه المجالس، وقد روي عن أبي وائل شقيق بن سلمة قال: "شهدت ابن عباس وولي الموسم، فقرأ سورة النور على المنبر، وفسرها، لو سمعت الروم لأسلمت" (الطبري، 2000، 82/1).

ويذكره الحسن البصري ويقول: "كان ابن عباس من الإسلام بمنزل، وكان من القرآن بمنزل، وكان يقوم على منبرنا هذا، فيقرأ البقرة وآل عمران، فيفسرهما آية آية" (الذهبي، 2006، 386/4).

ويظهر في قوله أن ابن عباس كان يعاود اعتلاء المنبر لتفسير سورتي البقرة وآل عمران لمرّات عديدة ويجري جلسات عامة متتالية لتفسيرهما.

2.1.3. خروج السلف إلى الناس وطلب السؤال منهم:

" ـز منرـالتحـ وـتماثـم كـذ في إ عووم شيـة الوقـالهم من ـلعروصدَتواس ما حالن غلابإلى ـلف عل ئمة السء وأذلع بعض ، ـل، 2022، 279)، حرصالواصياتـ" (ـج آتسن وـعن الرقآ يهمرسألو مهم أننـ نللنيو سلطلـو ينتصدهكان ونغ ، ومن اإبلا قـل متهمروو يـنعابعإلى التيهومن ثم تصلـة، شتناقجهم وتـلـوبتيول أتدان، والرقآ عتـن سير هم النيد سلسأل كانللنهم سلصـدور

عبد توح

اية.وعذهو مرها تتم المرلى أتـلر إذ

("لـم فـي أـ جـلـهر، فـي مـلـسـنهـأ لـ ـزـذـلـ بليـ د عروـة لاـة نـيـإ آنـلـيـ مـإ تـاللا بـكـبـيـاط لـنولس" :ي عن أـنبعلي لـقوـيـ راء ال ن وراحاكـ نإو ، مني بـ مـلـعأ اد حأ ومرأعلم لـايـ لو لـو ؟الـنآن لـالقرسألا أحد يع يـنلأ" :كـذلـكيقول و ،29)2/، 2 هري، 2001الز

.(2247/7، 1419، بـي حاتمـ")اأـنبـ بـيـذلأ

ـابلىلقسط اليـذ لدنـمـ مـهـيـ البـمـلـعكتاب اللعتـ لـ التـسير بين المرسلـيـنـلـمـ نشر عُيالسؤال، لـ مـ عتميذهلىلا ينحثو نالتعباو وكان س.ط، 401/1)..ال سوي، ب) "بـنـمـ هذظهركمرين شن أألـكـ وأقد عـ لـأشر الشـاب، إنـيـلس" يا موني جـير: قيعسـ لـلد نـبـ

2.1.4. سؤال طلبة العلم لشيوخهم:

وقد تورّع الصحابة والتابعون في بادئ الأمر في تفسير كتاب الله تعالى بعد رحيل النبيّ ﷺ، فلم يتجرَّؤوا على الكلام في شيء من القرآن الذي لم يرد فيه قول عن النبيّ ﷺ، روي عن عبيدالله بن عمر قوله: "أدركتُ ففقهاء المدينة، وإنهم ليُعظَّمون القول في التفسير"، ويقول الشعبي: "ثلاثٌ لا أقول فيهنّ حتى أموت: القرآن، والروح، والرأي" (الطبري، 2000، 87/1).

ومع اتساع الرقعة والفتوحات الإسلامية، ومواجهة أصحاب الرسول ﷺ الوقائع والحوادث، ومع دخول الناس إلى الإسلام، كثر السؤال عن معاني القرآن، وهذه الأمور زجت بالطلبة إلى سؤال شيوخهم من الصحابة والتابعين عن تفسير القرآن؛ لأن الطلاب كانوا معروفين بين الناس وقد يُسألون عن معاني القرآن، لذلك اضطر الشيوخ إلى إجابتهم، مع حرصهم على عدم الخوض في التفسير (الغامدي، 2022، 121)، وفي بعض الأحيان كان السائل يظل مع الشيخ يسأله مراراً وتكراراً حتى يجني بعض التفاسير عنه، منها: عطاء بن رباح فهو يمتنع القول في القرآن، إلا أن تلميذه ابن جريج كان يسأله حتى استخرج تفاسير كثيرة منه(الخضيري، 1420، 185/1-186-194)، وهذه الطريقة هي إحدى بوادر ظهور الروايات الشفهية، حيث يسأل التلميذ شيخه، ثم يروي عنه ما سمع، وتنتشر تفاسير الشيخ بين الناس وتنتقل رواية وشفاهة.

2.1.5. شد الرحال من أجل سماع العلم ومنه التفسير:

من طرق تلقي التفسير مشافهة؛ شد الرحال إلى بلدان بعيدة للحصول على تفسير عند شخص سمعه من النبيّ ﷺ.

ومن هذه المواقف؛ ما ورد في قصة رحال جابر بن عبدالله من أجل تفسير إلى مصر، حيث يقول: "بلغني حديث عن رجل من أصحاب النبيّ ﷺ سمعه من رسول الله ﷺ في القصاص، ولم أسمعه، فابتعت بعيراً، فشددت رحلي عليه، ثم سرت شهراً حتى قدمت مصر، فأتيت عبدالله بن أنيس، فقلت للبواب: قل له جابر على الباب، فقال: ابن عبدالله؟ فقلت: نعم. فأتاه فأخبره، فقام يطأ ثوبه حتى خرج إليه فاعتنقني واعتنقته، فقلت له: حديث بلغني عنك سمعته من رسول الله ﷺ ولم أسمعه في القصاص، فخشيت أن أموت أو تموت قبل أن أسمعه. فقال عبدالله-بن أنيس-: سمعت رسول الله ﷺ يقول: يحشر الله العباد -أو قال: الناس- عراة غرلاً بهما، قال قلنا: ما بهما؟ قال: ليس معهم شيء، ثم يناديهم بصوت يسمعه من بُعد كما يسمعه من قُرب: أنا الملك، أنا الديّان لا ينبغي لأحد من أهل الجنة أن يدخل الجنة، ولا ينبغي لأحد من أهل النار أن يدخل النار، وعنده مظلمة حتى أقصه منه حتى اللطمة. قال: قلنا: كيف ذا، وإنما نأتي الله غرلا بهما؟ قال: بالحسنات والسيئات. قال: وتلا رسول الله ﷺ: (ٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡۚ لَا ظُلۡمَ ٱلۡيَوۡمَۚ) [سورة غافر، الآية: 17]" (الحاكم، 1997، 514/2) (سلاّم، 2004، 563/2).

ومن التابعين: كان "مسروق رحل إلى البصرة في طلب تفسير آية، فقيل له: الذي يفسرها رجع إلى الشام، فتجهز ورحل إليه حتى علم تفسيرها (الأندلسي، 2001، 119/1).

3. مرحلة الكتابة والتدوين

بعد هذه الحركة التي دارت رحاها زمناً طويلاً، وهي القائمة على الرواية والنقل، تمخض عنها عصر الكتابة والتدوين (العك، 1986، 121).

وهذه المرحلة مرّت بخطوات؛ لكنها خطوات متشعبة ومتداخلة في نفس الوقت، حيث يتداخل بعضها في بعض، ونحاول عرضها بشكل متباين قدر المستطاع.

3.1. خطوة الكتابة المبدئية:

بدأ بها عهد جديد في تاريخ الأمّة الإسلامية، وفتح أمام أبنائها مجالات الثقافة والمعرفة، ونبغ فيهم الأئمة المجتهدون والمحدثون والفسرون (الغامدي، 2022، 124)، وبرزت إرهاصات بدوء هذه المرحلة في عصر الصحابة.

إن دخول الموالي وأولادهم في الإسلام ، وكذلك دخولهم في الحقول العلمية، فاقبلوا على العلوم بالحفظ، وبذلوا كل في وسعهم للتعليم، مُستعينين بما عندهم من مميزات بالأخص مهارتهم في النباهة والكتابة بمقتضى حضاراتهم القديمة؛ مما ساعدهم على الإتقان والإجادة أكثر من العرب في ذلك الحين؛ ويرجع هذا لتفرُّغهم، وجلوسهم لحلقات العلم العامة وملازمة الأشخاص المعيّنين، حيث كان أصحاب الرسول ﷺ وأتباعهم وقتَها منشغلين بأمور الفتوحات، وإدارة الخلافة سياسياً وعسكرياً (الغامدي، 2022، 124-125).

وكان من الصحابة المشهورين بالعلم والإفتاء، مَن اتّخذ من هؤلاء الموالي خادماً أو رفيقاً، فكانوا بحكم اختلاطهم بساداتهم، وملازمتهم لهم في السفر والحضر، أقدَرَ مِن غيرهم على معرفة أقوالهم وفقههم، الأمثلة في هؤلاء: نافع مولى عبدالله بن عمر، وعكرمة مولى ابن عباس، مجاهد بن جبر، سعيد بن جُبير، وعطاء بن أبي رباح، والحسن البصري، وغيرهم.

وما كُتِبَ في عهد الصحابة وأتباعهم لم يكن تأليفاً مرتباً حسب الأبواب، وإنما كان يُكتب لغرض الحفظ والاستذكار والمراجعة فقط، وفي عهد تابعي التابعين صُنّفت التصانيف، وطائفة من أهل العلم جمعوا كلام الرسولﷺ، وبعضهم جمعوا كلام الصحابة (الغامدي، 2022، 125).

فقد كانوا يكتبون العلوم عندهم، ولا سيما التفسير، فعن ابن أبي ملكة، قال: "رأيت مجاهداً يسال ابن عباس عن تفسير القرآن ومعه ألواحه، فيقول له ابن عباس: اكتب، قال: حتى سأله عن التفسير، كله" (الطبري، 2000، 90/1).

"هذا الأثر فيه دلالة على فوائد عديدة، من أهمها:

أ: إنّ علم التفسير كان علماً قائماً بذاته في عهد الصحابة، لأن مجاهداً ذهب إلى ابن عباس ليسأله عن التفسير خاصة، فدل على أنه علم قائم بذاته.

ب: إنّ تدوين التفسير كان في عهد صغار الصحابة، والنسخة التي كتبها مجاهد من أكبر الأدلة على أن بدايات علم التفسير وتدوينه كانت متقدمة جداً، وأن ذلك تدويناً فردياً خاصاً، بمعنى أن كتابته لأجل الحفظ والمراجعة والاستذكار، كما كانت حال المحدثين يومئذ، ولم يكتب لغيره كمصنف يؤثر عليه.

ج: قوله: "حتى سأله عن التفسير كله"، يدل ظاهره على عدم توقف ابن عباس عن التفسير، ويؤكد هذه المعلومة مجاهد في قوله: "عرضت المصحف على ابن عباس، ثلاث عرضات، من فاتحته إلى خاتمته، أوقفته عند كل آية منه، وأسأله عنها" (الطبراني، 1983، 77/11).

ولكن هل يدل على أن ابن عباس فسّر القرآن كاملاً آية آية؟ هذا ما يظهر من عموم اللفظ، وعليه فإنه ينقض ما اشتُهر من أن التفسير لم يكن متوسعاً في عهد الصحابة، وأنهم لم يفسروا جميع آيات القرآن" (الواصل، 2022، 284).

"ويحتمل أن المراد بقوله: "سأله عن التفسير كله" أي المشكل منه وما يحتاج إلى إيضاح، إذ الواضح لا يحتاج إلى أن يُسأل عنه، خصوصاً في ذلك الوقت المتقدم الذي لم تضعف فيه اللغة، ولم يفش اللحن بصورة كبيرة، ويؤيد هذا الاحتمال أن ما نُقل من مرويات تفسير ابن عباس التي بين يدينا لم تصل إلى ذلك الحد" (الواصل، 2022، 284-285).

د: يدل كذلك على ملازمته طول هذا الوقت، ولم يفارقه، كي لا يضيع أي شيء من تفسير القرآن من سيده، وقد ورّثوا هذه المصاحبة للأجيال التي جاءت من بعدهم، وأصبح طول الصحبة وملازمة الشيخ إحدى مقومات تلقي العلوم، ونجدها عند العلماء العاملين في كل القرون.

هـ: ويدل على أن الناس كانوا يعلمون أن هؤلاء يصاحبون الصحابة لتعليم تفسير القرآن وتلقي العلوم منهم، وخاصة مجاهد، فلذلك جمع الناس بعد الصحابة حولهم، وأصبح لهم تلاميذ من أتباع التابعين، وذلك لرصانة وأصالة منهل علمهم.

وهناك أثران يدلان على ما سبق حيث يقول سعيد بن جبير: "كنت أكتب عند ابن عباس في ألواحي حتى أملأها" (حنبل، 1422، 422/1).

وموسى بن عقبة قال: وضع عندنا كُريب حمل بعير من كتب ابن عباس. قال: فكان علي بن عبدالله بن عباس إذا أراد الكتاب كتب إليه: ابعث إلي بصحيفة كذا وكذا. قال: فينسخا، فيبعث إليه بإحداهما" (الزهري، 2001، 288/7)، (الذهبي، 2003، 1161/2).

3.2. خطوة النُسخ التفسيرية:

ظهرت في عصر التابعين النسخ التفسيرية، حيث رووا التفسير المأثور عن السلف، واتسمت هذه المرحلة بنبوغ بعض التابعين بعلم التفسير ومساهمتهم الجليلة فيه، وانتشرت النسخ التفسيرية، وتم تدوينها في مصنفات الحديث (السلّوم، 2021، 95-96).

وهي مرحلة الرواية المحضة، بدأت في أتباع التابعين (السلّوم، 2021، 95)؛ لأنهم كتبوا نسخ تفسيرية من شيوخهم من التابعين، فقد كان التابعين في عصرهم يكتبون التفسير عن الصحابة كتابة، ثم أملاهم على تلاميذهم من أتباعهم، وبدأت مرحلة تأليف النسخ التفسيرية.

أمّا النسخة بذاتها فهي مصطلح مرادف للصحيفة بدلالة إطلاق أحدهما على الآخر في المكتوب الواحد، أطلقت على جمع من الصحف: الصحيفة، وهذا من باب ما يسمى بإطلاق الجزء على الكل، فلهذا قيل لها: نسخة، وهي ما تشمل على حديث فأكثر ينتظمها إسناد واحد (أبو زيد، 1992، 21-23).

هناك أمثلة على هذه النسخ التي إسنادها واحد حيث روى واحداً تلو الآخر عن شخص منها:

تفسير مجاهد (ت103هـ):

هو دوّن تفسير شيخه ابن عباس (الخالدي، 2002، 227)، وأملى على القاسم بن ابن أبي بزة (ت115هـ)، وهذا التفسير عبارة عن نموذج مطابق للنسخة التفسيرية حيث روي عن ابن عباس من قبل مجاهد ومن ثم إلى ابن أبي بزة، بإسناد واحد، لذلك قال سفيان بن عيينة: "لم يسمعه أحد من مجاهد إلا القاسم بن ابي بزة أملاه عليه" (الفسوي، ب.س.ط، 92/2).

تفسير السدي (ت127هـ):

ذكر الطبري في بداية تفسير إسناد تفسير إسماعيل بن عبدالرحمن السدي هكذا: "حدثنا موسى بن هارون الهمداني، ثنا عمرو بن حماد القنّاد، ثنا أسباط بن نصر الهمداني، عن إسماعيل بن عبدالرحمن السدي، عن أبي مالك، وعن أبي صالح، عن ابن عباس، وعن مُرة الهمداني، عن ابن مسعود، وعن ناس من أصحاب النبيّ ﷺ، قال كذا وكذا..." (الطبري، 2000، 156/1).

ويتجلى من هذا السند الذي أورده الطبري، أن السدي جمع هذه النسخة من ابن عباس عن أبي مالك وأبي صالح -بن باذان-، ومن ابن مسعود عن مرة الهمداني وناس من الصحابة (الطبري، 2000، 156/1).

والذي يلاحظ أن المشهور في تفسير السدي أنه أخذه من ابن مسعود؛ لأنه كان شيخه ويلازمه.

والصحيح أن السدي كان في بادئ أمره يلازم ابن عباس لفترة طويلة أطول بكثير من ابن مسعود الذي هو شيخه الثاني بعدما ترك مجالس ابن عباس ولازمه، والعلاقة بينه وبين ابن عباس وابن مسعود وقفت عند حد الرواية (السدي، 1993، 23-24).

وفي عصر التابعين صدر أمر الكتابة المنتظمة للسنّة النبوية من قبل عمر بن عبدالعزيز خليفة المؤمنين رحمه الله، وذلك بشكل رسمي، فاستجاب الأمر عدد من التابعين، وفي مقدمتهم محمد بن شهاب الزهري (ت124هـ)، فقد قام بجمع حديث أهل المدينة (الواصل، 2022، 288).

وهناك نُسخ آخرى مثل نُسخ: سعيد بن جبير وقتادة اللذين دوّنا ما سمعا من تفسير إمامهما ابن عباس، كذلك زيد بن أسلم ومحمد بن كعب اللذين دوّنا أقوال أبيّ بن كعب وكانا من تلاميذه، مثل مسروق بن الأجدع والحسن البصري اللذين دوّنا أقوال عبدالله بن مسعود إمام لهما (الخالدي، 2002، 227).

وأخيراً يجب الانتباه إلى نقطة مهمّة وهي مسألة التوسع في توضيح معاني القرآن التي اشتهر به المفسرون بعد عصر القرون الثلاثة الخيرية، حيث فسروا القرآن آية آية، وعبارة عبارة، وكلمة كلمة، وهذ المسلك لم يكن موجوداً عند الصحابة، فقد كانوا يفسرون ما دعت إليه الحاجة، من المبهمات والألفظ المشكلة وبعض المسائل المتعلقة بالعقيدة، وذلك لصفاء اللغة العربية في عصرهم، ولكن لما دخل في الإسلام أناس ما كانوا على الدراية التامة باللغة كالصحابة، لذلك توسعت دائرة التفسير وشملت حتى الألفاظ الألفاظ الواضحة.

وُجِدَ في ما وصلنا من آثار التابعين مَن تَوَسَّع في التفسير جداً، وفسروا الألفاظ البسيطة جداً، ومن ذلك تفسير ابن جبير من رواية عطاء بن دينار أورده ابن أبي حاتم في تفسيره، حيث يلمس الناظر بوضوح من سعيد بن جبير تفاصيله لكل لفظ مع وضوحه (الواصل، 1433، 185)، مثل تفسيره لآية حكم الزانية والزاني في سورة نور بقوله:

"(ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجۡلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا مِاْئَةَ جَلۡدَةٖۖ) [سورة النور، الآية: 2]، يعني: إذا كانا بكرين لم يحصنا يجلدهما الحكام إذا رفع إليهم، وشهد أربعةٌ من المسلمين أحرارٌ عدولٌ، (وَلَا تَأۡخُذۡكُم بِهِمَا) يعني: في ضربهما (رَأۡفَةٞ فِي دِينِ ٱللَّهِ) يعني: في حكم الله الذي على الزاني، (إِن كُنتُمۡ) يعني: الحكام، (تُؤۡمِنُونَ) يعني: تصدقون بتوحيد الله (وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۖ) يعني: وتصدقون بالبعث الذي فيه جزاء الأعمال، فاقيموا الحدود، (وَلۡيَشۡهَدۡ) يعني: وليحضر، (عَذَابَهُمَا) يعني: حدَّهما، (طَآئِفَةٞ) يعني: رجلين فصاعداً، (مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ) يعني: المصدقين" (ابن أبي حاتم، 1419، 2518/8).

ولكن هذا المسلك ليس متوسعاً بين التابعين، إلا أنه يستدل به على أمر مهم وهو عدم رمي مَن جاء بعدهم بالضلالة لتوسعهم في توضيح معاني ألفاظ القرآن كلمة كلمة، الذي لم يفعله السلف واتهامهم بالابتداع والاستدراك على ما لم يفعله السلف .لثيء بمرحدف والسلا الخلف امتداد لمرا كء نالي ء املح، والصلا

وقبل الشروع في الحديث عن الخطوة التالية -خطوة التدوين الشامل للتفسير- نسلط الضوء على تدوين التفسير مع الحديث، حيث جعله بعض المختصين مرحلة من مراحل تدرج التفسير منهم محمد حسين الذهبي، وصلاح عبدالفتاح الخالدي، ونحن لا نجعله مرحلة خاصة؛ لأن التفاسير كانت تُروى بالإسناد حتى وصلت إلى أصحاب كتب الصحاح والسنن، وإلى المفسرين، من بينها النسخ التفسيرية التي سبق ذكرها آنفاً، بل ندمج مع هذه الخطوة.

عندما بدأت الرواية للحديث النبويّ والتأليف فيه؛ ظهرت الصحاح، والسنن، والمسانيد، ومعظمها مبوب على أبواب شتى، أُفرد للتفسير باب عند كثير من أصحابها، بل وجد من العلماء ليجمع الحديث، وبجواره يجمع ما روى في الأمصار من تفاسير النبيّ ﷺ، أو تفاسير الصحابة، أو التابعين، وهؤلاء المحدثون نقلوا عن أسلافهم من أئمة التفسير بالإسناد (الذهبي، 2012، 128/1).

وتكفل علماء كل قطر من الأقطار الإسلامية بتدوين ما وصلَهم من علوم إمامهم من الصحابة، ولم يفرقوا بين الروايات التفسيرية، أو غيرها من الفقه، والحديث، أو عقيدة، أو رأي اجتهادي (الخالدي، 2002، 227).

3.3. خطوة التدوين الشامل للتفسير:

اتسعت دائرة العلوم والمعارف بعد انصرام عصر التابعين، ومع حلول عصر أتباع التابعين.

بعد عصر التابعين بدأ التصنيف والتأليف والتدوين في علم التفسير، ولم يثبت وقوعُهُ قبل أتباع التابعين، إنما كان جمعاً لتفسير بعض الصحابة والتابعين من قِبَل من حمل ذلك من أتباعهم في نُسخ تفسيرية وروايتها، كما فعل مجاهد (الجُدَيْع، 2001، 320).

ذكرنا من قبل؛ إن ما ألفه مجاهد وغيرهم من التابعين كان نسخاً تفسيرية، وليس تأليفاً للتفسير.ففي عهد أتباع التابعين (132-200هـ) وما بعده من القرن الثالث للهجرة، تطورت العلوم، وتم فيها التصنيف في شتى المجالات، حيث اجتاز مجرد التدوين والجمع إلى خطوة الترتيب والتصنيف والجمع والتبويب، فقد قال الذهبي عند حديثه عن سِنة (143هـ): "وفي هذا العصر شرع علماء الإسلام في تدوين الحديث والفقه والتفسير، فصنّف ابن جريج التصانيف بمكة، وصنّف سعدي بن أبي عروبة، وحماد بن سلمة، وغيرهما بالبصرة، وصنّف الأوزاعي بالشام، وصنّف مالك الموطأ بالمدينة، وصنّف أبو حنيفة وغيره الفقه والرأي بالكوفة، وصنّف سفيان الثوري كتاب الجامع، ثم بعد يسير صنّف هُشيم كُتُبَهُ، وصنّف الليث بمصر، وابن لهيعة، ثم ابن المبارك، وأبو يوسف، وابن وهب، وكثُر تدوين العلم وتبويبه، ودُوِّنت كتب العربية واللغة والتاريخ وأيام الناس، وقبل هذا العصر كان سائر الأئمة يتكلمون على حفظهم أو يروون العلم من صحُف صحيحة غير مرتبة، فسهّل ولله الحمد تناول العلوم، وأخذ الحفظ يتناقص، فللّه الأمر كله" (الذهبي، 2003، 775/3).

ومن هذه العلوم التي تطورت؛ علم التفسير، حيث نجد أن تدوين التفسير بالمأثور خطا خطوة واسعة وذلك من خلال التدوين الشامل للتفسير، وذلك بعد ظهور كتب تفسير مسندة، ضمّت آثاراً تفسيرية عن عديد من مفسري السلف الصالح، ولم تكن مختصة بمفسر واحد (الواصل، 2022، 292)، كما في السخ التفسرية.

"كما تميّزت الكتب بطابع خاص من الترتيب والتصنيف، إذ جمعت تحت كل آية آثار مَن فسرها من السلف، وذلك بقدر ما يرويه صاحب الكتاب كثرة وقلة، ولا شك أنه كلما تأخر الزمن كان الكتاب أدق تصنيفاً وأكثر رواية بإدخال مصادر جديدة لم تكن لدى السابقين" (الواصل، 2022، 292).

ويعتبر هذا العصر أي عصر اتباع التابعين مرحلة فاصلة في تاريخ التدوين، فالتفسير في هذه المرحلة له مميزات عدة، منها: توسع التفسير حيث يشمل تفسير كل آيات القرآن، والتوسع في الموضوعات والمصادر، استخراج المعاني الدقيقة والاستنباط، والاجتهاد وإيراد اللطائف التفسيرية، وكذلك ظهور الوجوه والنظائر، وتصدير الكتاب بمقدمة خاصة بأصول التفسير، افتتاح السور قبل تفسيرها بنبذة مختصرة عما فيها من العلوم (الواصل، 1433، 184-187).

ومما صنف من التفاسير:

تفسير مقاتل بن سيمان (ت150هـ).

تفسير يحيى بن سلاّم (ت200هـ).

تفسير عبدالرزاق الصنعاني (ت211هـ).

ونعتبر تفسير يحيى بن سلاّم ثورة عظيمة في منهج التأليف في التفسير، وهو ملهم الطبري في صناعة تفسيره إلى حدٍ كبير.

ثم أصبح التفسير علماً قائماً بذاته، كان ذلك في القرن الثالث والرابع للهجرة، ومن أبرز مَن شيَّدوا هذه المقومات وأقامها على سُوقه: شيخ المفسرين وإمامهم ابو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت310هـ)، فقد شكّلت على يده وقلمه حادثة علمية عظيمة في ساحة التفسير، فقد وضع البنيان للأجيال المتعاقبة (الغامدي، 2022، 126)، ورسم أصول التفسير بشكل تام، وأسس مدرسة التفسير من خلال تفسيره، وحافظ على النسخ التفسيرية من الضياع، وحررها في تفسيره كثير من هذه النسخ كما فعله ابن أبي حاتم الرازي في تفسيره، مثل تفسير مجاهد عن طريق ابن أبي نجيح وتفسير السدي عن ابن عباس وعن ابن مسعود، ونال شهادة جُل العلماء على عظمة تفسيره لحسن ترتيبه وتبويبه، تحريره واستدلالاته، وتوجيهه لأقوال السلف، فجزاه الله عن المسلمين خير جزاء.

ودُوِّن بعد تفسير محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري (ت318هـ)، وتفسير ابن أبي حاتم الرازي (ت327هـ)، وكذلك تفسير ابن حبان -محمد بن حبان الدارمي(ت354هـ)، إلى تفسير الحاكم (ت405هـ)، وتفسير موسى بن مردويه الأصبهاني (ت410هـ) (الخالدي، 2002، 228).

مهما تطورت الصناعة التفسيرية جيلاً بعد جيل يبقى تفسير السلف في مقدمة كل التفاسير، والتفسير بالمأثور يبقى في المرتبة الأولى، ولا يضاهيه تفسير مهما كان قدره، وتصنيف الطبري لتفسيره وغيره لا يعني محو ما قبله بل هو تدرج هذا الفن

وقال محمد حسين الذهبي: "فليس معنى ذلك أن هذه الخطوة محت ما قبلها، وألغت العمل به، بل معناه أن التفسير تدرج في خطواته" الذهبي، 2012، 129/1).

ثم تتابعت المصنّفات في التفسير وتفرّعت وتنوّعت ألوانها، واختلفت مذاهبها، وتعددت مشاربها، فبعد أن كان التفسير يعول على النقل والرواية عن النبيّ ﷺ، والصحابة، والتابعين، رأيناه فيما بعد يعول على الرأي، وذلك نتيجة لنشأة الملل والفرق والمذاهب، فأصبح أصحاب كل مذهب يتجهون نحو آيات القرآن الكريم ويفسرونها حسب ما يوافق معتقداتهم ومذاهبهم، واعتنى أرباب االعلوم بما يوافق العلوم التي كانوا ماهرين فيها، فكان كل مَن حذق في علم غلب علمه على تفسيره: فالفقيه يسرد فيه الفقه، وربما استطرد إلى إيراد أدلة الفروع والرد على من يخالفهم، كما فعله الجصاص في تفسيره أحكام القرآن، والخازن في لباب التأويل في معاني التنزيل، حيث توّسع الأخير في أبوب الفقه توسعاً كثيراً، والنحوي توسع في قضايا الإعراب والأوجه المحتملة، كأبي حيان في البحر المحيط، والإخباري يكثر في ذكر الإسرائيليات كالثعلبي في الكشف والبيان في تفسير عن تفسير القرآن، وصاحب العلوم العقلية يكثر في إقامة الأدلة العقلية ويسرد أقوال الفلاسفة وشبههم ويحاول الرد عليها كالفخر الرازي في مفاتيح الغيب (السيوطي، 1974، 192/2)، وأهل البدع يخوضون في تفسير آيات الله على أهوائهم نصرة لمذهبهم الفاسد، كالمعتزلة والشيعة والجهمية.

خطوة حذف الا سناد: 3.4.

علىيدنج المر سيسري، ويير الطبرن جامن قل بإرساء لمعلم سمت ، وير عيم منظ قشوطع وت ، ور ذرابأثولم الستير بعد بلوغ جتسلحا بادا ق ضررلحأل حـ مـملذ ، و الإسلمند المر سرين إلى ا لمصتر يمنث لثكلىقتنير حـ اجع لأدنى وتسميمنهاج ، قد تر تا ة.لاعلىيإسلمند ل يلا ل يقة ا، ومالإسلمندرلا بإلمذ يؤثر، ور امو هأثور لأن المرابثوألمرما أ ّ

لىكناكرو يذصوارو ،سا لدراوئ الىقا على رلىيهتسبا بىال منمرهـفتيرسايانها يا تالتي يوردوحيذ نوذ سإ نونا دالكوران المر سر لىق ج ستب لالىبـ فىف يّنا، صـ822 ،2002 دي،دو(دالرـللخـعميةـ ضـ وصـ ةحيحثأ ةتبـ اذكاتاي، سواو ورلا نمـ مـهلإلي لىصيثور ألمرلـ حيحلتلا صولـقائ ،لهلاهوسا سـ مـ رلريدـ نون نيـ نأ نـلهمـ مـ قن عـ روثال وأمـ رلاقلق ألنبـ لوموقا ،مدا الأيناسوكثير، تـ ا لـ دو ع،ضـالتهر ولمانيد ـشذف الأسحـ ـصحيحة، ـ ن لاتـ لـذه الكامهـ يو رد في كلأن تـذه الكـهفي وظريظن الابليل، لمنلعـ (النيلالإسرائ .(131/1 ،2012 ،لميهـ يـ ت فـ يـ السـ تير بشكلا لـ

لمسـم بعـثـ " ئـالاق ،مدينالـلأس فـذحـ سـ بروثألمرابـ لال لـلتـ سجتـ ينّ ابج بامرلأثور وسـ تلة لحلذلا ةهـ ير صـلـ ول يـ يبوطسم الـ ّ دقووميز، ـ يجالحجـل نـ بعـ ة شو احجر،ال نـ بكيـ عوو ينة،يـ عيعبلتلابن ن كـ تـ سير لا لـ لـ او نـ اي سصحابة وع جتـ يرسا قـ أ ـ ة ّ أقلُ ذه الطيـ هـ ة شـ،نـ مو بـ أبـ يـ بكـ، ودـ يـ عسـ وـ ـ مدـ يـ حن ـ بـ د عو حـ بن عدا ، وروراهوقلحسإبن ، يـ وأبـ يـ إدآبن ،سـ ايمر لاورزقا، عـ دون، وها بن ر وأبـ ود ،يـ رمـ نـ باو ،مـ ركالحـ و ، اجمابن و ،مـ رب أ نـ با حاتيـ مـ رشجـ، لتـ ا ،لهـ ظعأل لـ جأ يـ ري، وكتابر طلابـ ر جنابـ وبعدهم يرـ ن أو

الشيخ بن حبان، وابن المنذر، في آخرين، كلها مسندة إلى الصحابة والتابعين، وأتباعهم، وليس فيها غير ذلك؛ إلا ابن جرير فإنه يتعرض لتوجيه الأقوال وترجيح بعضها على بعض، والإعراب والاستنباط، فهو يفوقها بذلك" (السيوطي، 1974، 242/4).

ويقول: "ثم ألف في التفسير خلائق فاختصروا الأسانيد، ونقلوا الأقوال بتراً، فدخل من هنا الخلل، والتبس الصحيح بالعليل، ثم صار كل من يسنح له قول يورده، ومن يخطر بباله شيء يعتمده، ثم ينقل ذلك عنه من يجيء بعده ظاناً أن له اصلاً، غير ملتفت إلى تحرير ما ورد عن السلف الصالح ومن يُرجع إليهم في التفسير، حتى رأيت من حكى في تفسير قوله تعالى: (غير المغضوب عليهم ولا الضالين) نحو عشرة أقوال، وتفسيرها باليهود والنصارى هو الوارد عن النبيّ ﷺ وجميع الصحابة والتابعين وأتباعهم، حتى قال ابن أبي حاتم: لا أعلم في ذلك اختلافاً بين المفسرين"(السيوطي، 1974، 242/4).

وكان التفسرون في هذه الخطوة يذكرون الأقوال المختلفة المأثورة عن الصحابة أو التابعين أو أتباعهم في تفسير الآية، وقد يكون بين هذه الأقوال تعارض، ويصعب تخريج هذه الأقوال ببساطة لحذف أسانيدها، ويتوسعون في أخذ الإسرائيليات لتفسير القصص والأحداث الواردة في القرآن مجملاً، وتمثل تفسير بحر العلوم لأبي الليث السمرقندي، والكشف والبيان عن تفسير القرآن للثعلبي، والبحر المحيط لأبي حيان الأندلسي، والدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي (الخالدي، 2002، 229).

"وهذه الخطوة لم تأت فجأة بل مرّت بصور متداخلة زمنياً، فمن تلك الصور:

3.4.1. دمج الأسانيد بعضها في بعض في إسناد واحد بحيث لا يتميز القائل وقوله

وهذا واضح عند السُّدّي (ت127هـ) في النسخة التي جمعها من تفسير ابن مسعود وناس من الصحابة (الواصل، 2022، 307).

3.4.2. حذف الإسناد أثناء التفسير، وكذلك القائل عند البعض

وهو واضح وصريح عند مقاتل بن سليمان (ت150هـ)، في تفسيره الكبير، وربما يكون أول من فتح باب حذف أسانيد التفسير، وقد عِيب عليه ذلك الصنيع، فقال عبدالله بن المبارك حين وقف على تفسيره: "يا له من علم لو كان له إسناد" (العسقلاني، 1326، 279/10).

3.4.3. اختصار الأسانيد أثناء التفسير

وهو جلي عند يحيى بن سلاّم (ت200هـ) في تفسيره، حيث يسقط بعض رجال السند أحياناً (الواصل، 2022، 308).

3.4.4. الالتزام بالإسناد في بعض الروايات وحذفها في البعض الآخر اختصاراً

وهذا منهج التزمه ابن أبي حاتم (ت327هـ) في تفسيره (الواصل، 2022، 309)، حيث قال في مقدمته مبيّناً سبب ذلك: "سألني جماعة من إخواني إخراج تفسير القرآن مختصراً بأصح الأسانيد، وحذف الطرق والشواهد والحروف والرويات، وتنزيل السور... فتحريت إخراج ذلك بأصح الأخبار إسناداً، وأشبهها متناً، فإذا وجدت التفسير عن رسول الله ﷺ لم أذكر معه أحداً من الصحابة ممن أتى بمثل ذلك، وإذا وجدته عن الصحابة فإن كانوا متفقين ذكرته عن أعلاهم درجة بأصح الأسانيد، وسميت مواقفهم بحذف الإسناد، وإن كانوا مختلفين ذكرت اختلافهم وذكرت لكل واحد منهم إسناداً، وسميت مواقفهم بحذف الإسناد، فإن لم أجد عن الصحابة ووجدته عن التابعين علمت فيما أجد عنهم ما ذكرته من المثال في الصحابة، وكذا أجعل المثال في أتباع التابعين وأتباعهم" (ابن أبي حاتم، 1419، 11/1).

3.4.5. الاكتفاء بذكر الأسانيد في المقدمة

كما هو الحال لدى الثعلبي (ت427هـ)، الذي أورد عشرات الأسانيد في مقدمة كتابه عن معظم مفسري السلف ومّن بعدهم، منها الصحيح ومنها الضعيف، مما سبب التباس الصحيح بالضعيف (الواصل، 2022، 309).

وهذه الصور سبقت مرحلة حذف الأسانيد بشكل تام والذي وقع بعد القرن الثالث للهجرة حتى يومنا هذا، وظهر كثير من التفاسير التي عنيت بأقوال السلف ولكن محذوفة الأسانيد ونقلوا أقوالهم دون التمحيص، ومن أشهر هذه التفاسير التي حذفت الأسانيد والتي أصبحت ملهمة لمن جاء بعدهم من المفسرين: تفسير الثعلبي (ت427هـ)، وتفسير الماوردي (ت450هـ)، وزاد المسير لابن الجوزي (ت597هـ) (الواصل، 2022، 310).

4. الخاتمة

تمخضت الدراسة عن جملة نتائج، والذي يتراءى لنا أن الحاجة غير ملحة لعرض النتائج العامّة لجُل الفقرات جميعها إرتكاناً إلى الإيجاز وتجنباً للإسهاب، أما النتائج الخاصة التي توصلت إليها الدراسة فنبرز أهمها على الوجه الآتي:

1. إنّ أوّل من فسّر القرآن هو النبيّ محمدﷺ، وأنه المدرسة الأولى للتفسير، وكان جل تفاسيره من الوحي الإلهي.
2. بدا للباحثين أن الصحابة فضلاً عن تفسيرهم للقرآن كان لهم مجالس خاصّة وعامّة لتفسير القرآن، وكانوا يقيمون المجالس يبيّنون مراد الله تعالى في كتابه.
3. ظهر في عصر التابعين النسخ التفسيرية، التي هي عبارة عن روايات تفسرية جملية عن الصحابة، وهي رواية التلميذ عن الشيخ، وبعضها وجادة.
4. بدأت مرحلة التدوين الشامل بعد ظهور يحيى بن سلاّم وتفسيره، فقد كان تأليفه للتفسير يعد في نظرنا ثورة في تقعيد قواعد التفسير في عصره، وهو ملهم الطبري في تفسيره إلا أن تفسير الطبري أجود في إراد الروايات وتنقيحها وتوجيهها.
5. تبيّن لنا أن أخطر مراحل التفسير هي حذف الإسناد واختصاره، وصعوبة تمييز الصحيح من السقيم.

5. المصادر والمراجع

- ابن أبي حاتم، ع (1419هـ) تفسير القرآن العظيم، ت: أسعد محمد الطيّب، ط3، مكتبة نزار مصطفى الباز، الرياض.
- أبو داود، س (2009م) سنن أبي داود، ت: شعيب الأرنؤوط ومحمد كامل قره بللي، ط1، دار الرسالة العالمية، بيروت.
- أبو زيد، ب (1992م) معرفة النُسخ والصحف الحديثية، ط1، دار الراية، الرياض.
- الأندلسي، م (2001م) البحر المحيط، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت.
- الواصل، خ (1433هـ) تفسير أتباع التابعين أعلامه ومعالمه، خالد بن يوسف بن عمر الواصل، مجلة معهد الإمام الشاطبي للدراسات القرآنية، جدة، العدد: 13.
- الجُدَيْع، ع (2001م) المقدمات الأساسية في علوم القرآن، ط1، مركز البحوث الإسلامية، ليدز.
- الحاكم، م (1997م) المستدرك على الصحيحين، ت: مقبل بن هادي الوادعي، ط1، دار الحرمين، القاهرة.
- حنبل، أ (1422هـ)، العلل معرفة الرجال لأحمد راوية ابنه عبدالله، ت: وصي الله بن محمد عباس، ط2، دار الخاني، الرياض.
- الحنبلي، ع (1987م) شرح علل الترمذي، ت: همام عبدالرحيم سعيد، ط1، مكتبة المنار، الزرقاء.
- الخالدي، ص (2002م) تعريف الدارسين بمناهج المفسرين، ط1، دار القلم، دمشق.
- الخضيري، م (1420هـ) تفسير التابعين عرض ودراسة مقارنة، ط1، دار الوطن، الرياض.
- الذهبي، أ (2012م) التفسير والمفسرون، ب.ط، دار الحديث، القاهرة.
- الذهبي، م (2003م) تاريخ الاسلام ووَفيات المشاهير والأعلام، ت: بشار عواد معروف، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت.
- الذهبي، م (2006م) سير أعلام النبلاء، ب.ط، دار الحديث، القاهرة.
- الذهبي، م (ب.س.ط) علم التفسير، ب.ط، دار المعارف، القاهرة.
- الزهري، م (2001م)، الطبقات الكبرى، ت: علي محمد عمر، ط1، مكتبة الخانجي، القاهرة.
- السدي، إ (1993م) تفسير السدي الكبير، ت: محمد عطا يوسف، ط1، دار الوفاء، المنصورة.
- سلاّم، ي (2004م) تفسير يحيى ين سلاّم، ت: هند شلبي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت.
- السلّوم، أ (2021م) قانون التفسير بالمأثور، ط1، دار طيبة الخضراء، مكة المكرمة.
- السيوطي، ع (1974م) الاتقان في علوم القرآن، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، ب.ط، الئية المصرية العامة للكتاب، القاهرة.
- السيوطي، ع (2003م) الدر المنثور في التفسير بالمأثور، ط1، ت: مركز هجر للبحوث، دار هجر، القاهرة.
- الطبراني، س (1983م) المعجم الكبير، ت: حمدي بن عبدالمجيد السلفي، ط2، مكتبة العلوم والحكم، الموصل.
- الطبري، م (2000م) جامع البيان في تأويل آي القرآن، ت: أحمد محمد شاكر، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- العسقلاني، أ (1326هـ) تهذيب التهذيب، ط1، دائرة المعارف النظامية، هند.
- العك، خ (1986م) أصول التفسير وقواعده، ط2، دار النفائس، بيروت.
- الغامدي، ز (2022م) علم طبقات المفسرين، ط1، دار طيبة الخضراء، مكةالمكرمة.
- الفسوي، ي (ب.س.ط) المعرفة والتاريخ، ت: خليل المنصور، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت.
- قاسم، ح (1990م) منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري، ط1، دار البيان، دمشق.
- اللكنوي، م (2005م) التعليق الممجد على مطأ محمد -شرح موطأ مالك برواية محمد بن الحسن-، ت: تقي الدين الندوي، ط4، دار القلم، دمشق.
- الواصل، خ (2022م) تفسيرالسلف تاريخه وأعلامه ومصادره، ط2، دار وقف أضواء الشاطبية، جدة

قۆناغەکانی پلەبەندی تەفسیری بە مەئسور -لێکۆڵینەوەیەکی شیکاری-

عثمان محمد غريب
بەشی خوێندنی ئیسلامی، کۆلێژی زانستە ئیسلامییەکان
زانکۆی سەلاحەدین ـ هەولێر،هەولێر،هەریمی کوردستان،عێراق
uthman.ghareeb@su.edu. krd

رێناس دیندار حسین
بەشی خوێندنی ئیسلامی، کۆلێژی زانستە ئیسلامییەکان
زانکۆی سەلاحەدین ـ هەولێر،هەولێر،هەریمی کوردستان،عێراق
renas.hussein@su.edu.krd

پوختە

ئەو لێکۆلینەویە گرینگی دەدات بە بابەتی مێژویی ئەو قۆناغانەی بزاڤی تەفسیر پێیدا تێپەریووە، پلە بە پلە گەشەی کردووە، لە دەستپێکەوە لە سەردەمی پێغەمبەرایەتی و بە دوای ئەویش سەردەمی هاوەڵان وشوێنکەوتوان، هەوەها سەردەمی شوینکەوتوی شوکەوتوان، تیایدا باسی تایبەتمەندی ئەو سەردەمانە کراوە کە بە گشتی پێی دەگوترێت قۆناغی پێشینی چاك، ئەو قۆناغە کۆمەڵێك جیاکەرەوەی هەیە لەگەڵ قۆناغەکانی تری مێژوی تەفسیر، بە شێوەیەك رێباز ورێچکەی تایبەت بە خۆی هەبوە، هۆکارەکەشی؛ نزیکیان بووە لە سەردەمی پیغەمبەرایەتی، پارێزراویان لە ئاشوب، وگۆڕانکارییە سیاسییەکان، وشەڕی هزری ئەوکات، هەروەها گوێیان نەداوە بەو کێشانە وسەریان خستبووە سەر خودا پەرستی و بەدەستهێنانی زانستی پەیوەستدار بە قورئانی پیرۆز، تیشك خراوەتە سەر گێرانوەی تەفسیری پێشینی چاك نەوە دوای نەوە تا گەیشتە سەردەمی موفەسیرکان -خاوەن پەرتووکە گەورەکانە تەفسیر-، ئەو لێکۆڵینەوەیە دەبارەی ئەوانیش دەدوێت و پەنجە دەخاتە سەر ئەو گۆڕانکارییانەی بەسەر رێبازی تەفسیر داهاتووە، ئەوەش رووندەکاتەوە کە ئەو قۆناغانە بە گشتی قۆناغی نێکەهەڵکێشراوی بەدوایەکداهاتووی بووە لە پلەبەندی تەفسیری بە مەئسوردا.

وشەسەرەکییەکان: تەفسیر، مەئسور، قۆناغ، گیرانەوە، پێشین

The Stages of Interpretation Are Included in The Adage

Uthman Muhammed Ghareeb
Department of Islamic Studies, College of Islamic Sciences, Salahaddin University- Erbil, Erbil, Kurdistan Region, Iraq
uthman.ghareeb@su.edu. krd

Renas Dendar Hussein
Department of Islamic Studies, College of Islamic Sciences, Salahaddin University- Erbil, Erbil, Kurdistan Region, Iraq
renas.hussein@su.edu.krd

Abstract

This study deals with the subject of the history of the stages through which the interpretation movement went through and its gradation, starting with the era of the prophethood, passing through the era of the companions and the followers as well as the era of the followers of the followers, as the study dealt with the features and characteristics of these eras, which is called the stage of the righteous predecessors, there were many advantages in that blessed era and it was interpretation has a special path and a distinctive approach that distinguishes it from the rest of the stages. Because of their closeness to the era of the prophecy and their infallibility from strife, political changes, and intellectual disputes that existed at the time, and they did not care about these issues, rather they devoted themselves to good worship, acquiring knowledge of the Book of God Almighty, and they sat in exegetical councils, and narrated the interpretation from some, generation after generation, and after them came an era the interpreters - classification and authorship - are the owners of the books of interpretation, and the study showed the state of interpretation in this era and the way of the interpreters in it, and also explained the overlapping of the successive stages of the gradation of interpretation in the tradition.

.**Keywords:** interpretation, adage, stages, narration, ancestor